ثم يقولون انا في حاجتك وانما يريدون ان حاجتك قد شغلتني فلم ندع
في فضلا لغيرها فشبهوا ذلك بالمكان الذي يحيط بالممكن من كل جهاته
الست فلا يدع منه فضلا لغيره. وهذا كثير جدا في اللغة يكثر ان تتبعناه
فمنه قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد. ذهب قوم الى ان البنيان
هنا حقيقة وانه اراد الصرح الذي بناه هامان لفرعون وهو الذي
ذكره الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب.
وذهب اخرون الى انه كلام أخرج مخرج التمثيل والتشبيه قالوا ومعناه
انه ما بنوه من مكرهم وراموا اثباته وتاصيله ابطله الله تعالى وضربه عليهم
فكانوا بمنزلة من بنى بنيانا يتحصن به من المهالك فسقط عليه فقتله.
وشبهوه بقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله. والقولان جميعا
جائزان على مذاهب العرب الا ان هم يقولون بنى فلان شرفا ومجدا
وليس هنالك بنيان في الحقيقة. قال عبدة ابن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

ويشبه هذا الذي ذهبوا اليه قول ابن احمد

رماني بامر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن جال الطوي رماني

ويروى ومن جول الطوي والجال والجول ناحية البئر من اسفلها الى
اعلاها ومعناه رماني من قعر البئر فجعت رميته عليه فاهلكته
هكذا رواه قوم وفسروه. والمعروف ومن اجل الطوي وانما كان
يخاصمه في بئر يدعيها كل واحد منهما فقال رماني بامر انا ووالدي
بريئان منه من اجل ما بيني وبينه من الخصام في الطوي ويدل على هذا بيت
الشعر الآن قبله. فلما راى سفيان ان قد عزلته. عن المآتم والحايم الوحدان

ومن هذا النوع قوله ﷺ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
قوم يروون الجبال هنا حقيقة وانه اراد بذلك ما كان من صعود نمرود بن كنعان
في التابوت نحو السماء فلما كر منحدرا ظنته الجبال امرا من عند الله فكا
تزول من مواضعها. وقوم اخرون يقولون الجبال ههنا تمثيل
لامر النبي صلى الله عليه وسلم اي انهم مكروا به ليزيلوا امره الذي قد رسخ
رسوخ الجبال التي لا يستطاع ازالتها من مواضعها والعرب
تشبه الشيء الثابت بالجبل الشامخ والصخرة الراسية. الا ترى الى قول زهير

الى باذخ يوفى على من يطاوله ... وقول السموأل ابن عاديا

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا اصله تحت الثرى وسما به ... الى النجم فرع لا ينال طويل

وقال الاعشى في ذلك

كناطح صخرة يوما ليفلقها ... فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

فهذا كلام العرب. ومن هذا الباب قوله تعالى يا بني آدم قد
انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم. ومعلوم ان الله تعالى لم ينزل من
السماء ملابس تلبس وانما تاويله والله اعلم انه انزل المطر فنبت عنه
النبات ثم رعته انعامهم فصار صوفا وشعرا ووبرا على ابدانها ونبت عنه
القطن والكتان فاتخذت من ذلك اصناف الملابس فسمي المطر لباسا
اذ كان سبب ذلك على مذاهب العرب في تسمية الشيء باسم الشيء اذا كان
منه بسبب. وهذا يسميه اصحاب المعاني التدريج. ونحوه قولهم للمطر
سماء لانه ينزل من السماء. والنبت ندى لانه عن الندى يكون. وللشحم ندى
لانه عن النبت يكون. قال ابن احمد

Copyright © King Saud University